بأربع وعشرين ساعة، إنه أهم أسرار الدولة هذه السنة، وليس ـ وهذا أمر مؤكد ـ من الأحداث الأقل أهمية في جيلنا: بعد خمسة عشر يوما من العمل والقلق المتصل (إذ أنني ـ وهذا أمر يبقى بيننا فقط، أستطيع أن أنسب لنفسي الدور الأهم في هذا الموضوع) اشتريت لإنجلترا أسهم خديوي مصر في قناة السويس.

وقف ضدنا كل اللاعبين والرأسماليين والممولين في العالم، نظموا أنفسهم في عصابات للنهب يعاونهم مبعوثون سرّيون مبثوثون في كل ركن، ولكننا لاعبناهم جميعا دون أن نثير أية شكوك.

أول أمس قدم دي ليسبس (وتمتلك شركته كل الأسهم الأخرى) عرضا مهما تسانده الحكومة الفرنسية التي يعمل لحسابها. كان نجاحه سيجعل القناة مملوكة بالكامل لفرنسا مما يعطيها حق إغلاقها! أعطينا الخديوي أربعة ملايين جنيه استرليني آملين أن يساندنا البرلمان لاحقا. وكان من المستحيل دعوة البرلمان لمناقشة الأمر، كان ذلك كفيلا بإثارة انفجار يحمل الخبر إلى أطراف السماوات أو أطراف الجحيم.

الحورية سعيدة جدا «بهذا الحدث شديد الأهمية» وترغب «في معرفة كل شيء عندما يأتي السيد دي اليوم».

في اليوم التالي كتب بنجامين رسالة أخرى إلى نفس السيدة، جاء فيها:

«أكتب لك على عجل لأخبرك بنجاح زيارتي للحورية ـ يمكنني القول: حققت الزيارة نصرا لا يفوقه شيء. خبر السويس أثار الحورية، قالت: «ما يسعدها أكثر من أي شيء آخر هي الضربة التي تلقاها بيسمارك»، وأتصور أنها كانت تلمح لتصريحاته الوقحة عن أن إنجلترا لا تستطيع أن تكون قوة سياسية عظمى. كررت هذه الملحوظة عدة مرات مما يؤكد أن الفكرة كانت مسيطرة عليها...»